اشكالية العلاقة بين ارض كنعان "الارض الموعودة" والجماعة اليهودية كما قدمها العهد القديم ــ اتصال أم انفصال

دراسة لتوظيف الصهيونية لفكرة الارض الموعودة كآلية للأستيلاء على فلسطين

د. هانى عبد العزيز السيد سالم *

عاش اليهود لفترة طويلة من الزمن في حالة من الشتات، وأثبتت الدراسات التاريخية المحايدة أنه كان شتاتاً اختيارياً،بدليل أن فلسطين ظلت مفتوحة أمامهم عبر التاريخ دون أية قيود على دخولها أو الإقامة فيها، ولكنهم كانوا يفضلون دائما الإقامة خارجها، ويكتفون بالتعبير عن أشواقهم إليها وإلى أورشليم، ويبكون على خرابها في صلواتهم، ويتبادلون الأمنيات في المناسبات والأعياد الدينية،بأمل "اللقاء العام القادم في أورشليم"،وذلك دون أن يحركوا ساكناً لتحويل هذه الأمنية إلى واقع،لأنهم كانوا في غنى عن التفكير في هذا التوجه في ظل إقامتهم الهادئة بين سائر الشعوب في أرجاء العالم كافة،حتى وإن قطع هذا الهدوء حدث اضطهادي ضدهم هنا أو هناك.ومن هنا ظلت فكرة هجرة اليهودي إلى فلسطين مجرد حالة ارتبطت عند بعض من أقدم عليها على مجرد نوازع دينية وصوفية للإقامة بجوار الأماكن الدينية في أرض فلسطين. وبالرغم من أن بعض رجال الدين اليهود قد حاول استغلال وجود عقيدة "المسيح المخلص" كجزء من الأركان الأساسية للعقيدة اليهودية،ودعا اليهود إلى الهجرة إلى فلسطين بدعوى أنهم هم "المسحاء المخلصون"،فإن هذه المحاولات كلها،والتي بدأت منذ القرن الأول الميلادي على يد بركوخبا وامتدت حتى شبتاى بن تسفي في القرن السابع عشر الميلادي باءت كلها بالفشل الذريع،وأصبح هؤلاء يعرفون باسم "المسحاء الكاذبون". واعتبارا من القرن الثامن عشر الميلادي،انتقل مركز الأحداث إلى أوروبا حيث ظهرت حركة التنوير اليهودية (الهسكالاه) بتأثير من حركة التنوير الأوروبية. وبالرغم من أن حركة التنوير اليهودية قد أحدثت تغييراً جوهرياً في غرب أوروبا أدى إلى إحداث موجة من الاندماج ترتب عليها انحسار البعد القومي في الديانة اليهودية؛ فإن الأمر لم يتحقق على المستوى نفسه بالنسبة لليهود في شرق أوروبا لأسباب كثيرة،مما أدى إلى قيام بعض اليهود،وخاصة من رجال الدين،بطرح فكرة إمكانية أن يكون لليهود وطن قومي خاص بهم في فلسطين بعيدا عن المجتمعات والأوطان التي كانوا يعيشون فيها في ذلك الوقت خلال القرن الثامن عشر الميلادي،وذلك استنادا إلى عقيدة "المسيح المخلص"، و "الارض الموعودة" بعد إلباس فكرة الخلاص ثوبا جديدا لا يتصل بشخص المسيح المنتظر.

---

* أستاذ تاريخ اليهود والحضارة المساعد – قسم اللغة العبرية جامعة عين شمس كلية الآداب –
ألقي ملخص البحث ولم يقدم البحث للنشر بكتاب مؤتمر ٢٠١٢ م .